آباء الكنيسة

٨

مختارات

من القديس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي

تعريب

الأسقف إستفانوس حداد

منشورات النور

١٩٩٤

على هامش الانجيل

المسيح الذي اختار صيادي السمك يصطاد هو، وينتقل من مكان الى مكان. لماذا؟ يفعل هذا لا ليربح لله أصدقاء أكثر بتنقله من مكان الى مكان، بل كما اعتقد، ليقدس أماكن أكثر. من أجل اليهود يصير كاليهود، ومن أجل الذين هم تحت الناموس، صار تحت الناموس، وذلك، ليشتري الذين هم تحت الناموس. من أجل المرضى، صار كالمريض، ليخلص المرضى. صار الكل من أجل الكل، ليربح الكل. لماذا أقول الكل من أجل الكل؟ ان ما لم يحتمل بولس أن يقوله عن نفسه، أو يقبله على نفسه، يتحمله المخلص، ويقبله على نفسه. وهكذا فلم يصر يهودياً فقط، ويتقبل تعييرات شريرة ظالمة وحسب، بل قبلَ أن يتلبّس أسماء أخبث وأشد نكراً. فقد صار لعنة من أجلنا، وصار الخطيئة الذاتية، جل وعلا! اذ كيف يسمَّى خطيئة، وهو الذي جاء ليحررنا من الخطيئة؟ وكيف يمكن أن يكون لعنة ذاك الذي اشترانا من لعنة الناموس؟ انه يرتضي ذلك ليبرهن لنا الى أي حد يبلغ تواضعه، ولكي يعطينا مثالاً عن التواضع الذي يرفعنا. صار مع صيادي السمك، كما قلت، وتواضع ليجذب اليه الكل، ويتقبل كل شيء من الأعماق، السمكة أي الانسان السابح في أمواج العمر المضطربة، والمياه المرة!

ها هو، بعد أن أنهى موعظته، يغادر الجليل، ويأتي الى جبال اليهودية عبر الاردن. كان قد جاء الى الجليل (موطن الوثنيين) وما أحسن ما عمل، ليرى الشعبُ السالك في الظلمو نوراً عظيماً. ثم يصعد الى اليهودية ليقنع اليهود بترك الحرف واتباع الروح. يبذر تعليمه وينشر أعماله وعجائبه. فحيناً يعلم فوق الجبل، وحيناً يتكلم في مكان سهل. يدخل حيناً الى القارب، وحيناً ينتهر العاصفة. ينام حتى يبارك النوم ويتعب ليقدس التعب، ويدمع ويبكي حتى يجعل من الدمع شيئاً جديراً بالمديح. ينتقل من مكان الى مكان ذاك الذي لا يسعه مكان، وهو الذي فوق الزمان، والغير الجسدي، والغير المحدود، هو ذاته الذي كان وصار ويصير. وهو فوق الزمان ويدخل الزمان. هو غير منظور ويصير منظوراً. كان في البدء قبل الخليقة، وكان عند الله، وكان هو الله. ان كلمة «كان» تتأكد بالتكرار ثلاث مرات. فالذي كان أفرغ ذاته متواضعاً، واتخذ ما لم

يكن غير صائر اثنين، بل قَبِلَ على ذاته أن يصير واحداً من اثنين إلهاً وانساناً. الآخذ والمأخوذ طبيعتان اتحدتا في شخص واحد، وليس اثنين. لا تضلنا الوحدة، وحدة الإله والإنسان معاً. إنه الجليل العظيم، والعزيز القدير الحر المتصرف بحكمة في التنسيق والتدبير! تُرى ماذا دهاني حتى اسقط في تعبيرات بشرية؟ كيف يمكن أن يكون البسيط عظيماً؟ كيف يمكن أن يكون جليلاً مَن لا يُقاس كمياً؟ اغتفروا لي تعبيري. اني أتكلم بجهازٍ صغير، وآلة بسيطة، عن أمور كبيرة جداً! لكن عفوي على ضعفي يأتيني من ذاك «الكائن» الذي يتقبل الضعفاء. لأنه ما دام قد قبل الجسد، فهو يتقبل الكلام بشكل الجسد.

جموع غفيرة تبعته فشفاهم هناك حيث كان القفر أكبر. فلو أنه بقي في علوّه ولم ينزل الى المرضى. لو بقي ما «كانه» قابعاً في السموات العلى محتجباً عن عيون الناس (كما يريد له الذين لا يقبلون التجسد)، لو بقي بعيداً غير مقترب اليه، وغير محدود أو محصور في جسد مثلنا لكان الذين تبعوه نزراً يسيراً من الناس، بل قل أن موسى وحده هو الذي تبعه لأنه تعرف عليه حين استطاع أن ينظر قفاه حين شق الغمامة، وذلك بعد أن تحرر من الثقل الجسدي، أو بعد أن حد هواه وحواسه. كيف يمكن أن يبصر الله والله لطيف بلا جسد؟

– أنا لا أعلم كيف اسمي ذلك؟ – وهو جسد وينظر بعيون جسدية؟ أجل أفهم ذلك بما يأتي: بما أنه تواضع من أجلنا، وبما أنه تنازل (أسمي التواضع الاقلال من المجد) لذلك صار مفهوماً ومدركاً.

عفوَكَ اذا تكلمتُ بشرياً – ننتقل الى الكلام عن الآلام – يأخذني الغضب بسبب ما يجري على مسيحي، الأمر الذي يجب أن تشعروا به أنتم أيضاً. أجل يأخذني الغضب والانفعال عندما أرى مسيحي يُهان – جلَّ عن الإهانة – فيما يستوجب التكريم! قل لي: أيهون عندك المسيح لأنه تواضع من أجلك؟ ألأنه يهتم بالخليقة، وهو مخلوق؟ ألأنه يفتقد الذين هم أسفل يصير عندك تحت الزمن؟ مع ذلك يحتمل الكل، ويتقبل الكل! وأين هو العجب؟ قبل اللطم والبصاق، وذاق المر بسبب مذاقتنا. يقبل الآن أن يُرجم لا من أخصامه، بل منا نحن الذين نعتبر أنفسنا مؤمنين! لأن من يستعمل أسماء جسدية وأوصافاً جسدية، عندما يتكلم عمَّن لا جسد له يكون كالأخصام ومثل الراجمين بالحجارة.

عفوَك اللهمّ اننا لا نرجم بإرادتنا. لأننا لا نستطيع أن نتكلّم بطريقة أخرى، ونستعمل الوسائل التي نملكها. نسميك كلمة، وأنت أسمى من الكلمة. نسميك ناراً، لا لأنك

تصبح مُدْرَكًا بحواسنا، بل لأنك تنقي المادة الخبيثة البطالة. نسميك مُدْيةً لأنك تقطع وتفصل الشر عن الخير. نسميك مذراة لأنك تنقي البيدر. كل ما هو خفيف، وتذريه الرياح يطرد بعيداً. وكل ما هو ثقيل يوضع في الأهراء السماوية. نسميك فأساً لأنك تقطع التينة العديمة الثمر، وتجتث أصول الخبث. نسميك باباً لأنك تسمح لنا بالدخول، وطريقاً لأنك تقودنا في الطريق الصحيح. وحملاً لأنك ضحيت بذاتك، ورئيس كهنة لأنك قدمت جسدك، وابناً لأنك ولدت من الآب. أُراني أصبحت كيوحنا صوت صارخٍ في البرّية التي كانت قاحلة. أما الآن فصارت مليئة بالآدميين.

ولكن فالأعُد الى ما قلته. لقد تبعه جمع غفير لأنه انحنى بمعرفة على خطايانا. ماذا يقول الانجيل بعد ذلك؟ اقترب منه الفريسيون مجربين وقائلين: أيجوز للانسان أن يطلّق امرأته لأقل علة؟ أترى يحتاج مفسرو الناموس الى معلمين؟ لم يكفه الصدوقيون الذين ضايقوه بمسألة القيامة، ولا الناموسيون المحاولون التوسع في معرفة الكمال، ولا الهيرودسيون ولا أصحاب الجباية، ولا السائلون عن السلطة، بل يسأله واحد عن الزواج، وهو خالق الزواج، وخالق الجنس البشري من المبدأ الأول: فأجابهم المسيح قائلاً: ألم تقرأوا في الكتاب أن الذين خلقهم الله ذكراً وأنثى خلقهم منذ البدء. ونحن نعلم أن المسيح كان يجيب على بعض الأسئلة، ويخرس أصحابها. فعندما سئل بأي سلطان تفعل هذا؟ أجابهم بسؤال آخر من عنده: معمودية يوحنا أمن السماء كانت أم من الأرض؟ بهذا السؤال الجواب معاً، كَمّ أفواههم، وقيد ألسنتهم وأقدامهم وأيديهم. ونحن إذا تشبهنا بالمسيح نستطيع أن نلجم ألسنة الذين يحاربوننا بالمجادلة فقط مستعملين معهم حكمة المسيح. فعندما تسمع سؤالاً معقولاً، فلا تحاول أن تتهرب من اعطاء الجواب الحاضر المعقول.

فلنبحث السؤال الذي يطرح عن تطليق المرأة. إن الناموس الذي يعاقب المرأة وحدها دون الرجل هو ناموس غير مستقيم وغير عادل. لماذا يعاقب الأنثى ويغفر للرجل؟ لماذا يعتبر المرأة زانيةً إذا تركت مخدع زوجها ومهينةً له، ولا يعاقب الرجل إذا زنى مع امرأة؟ أنا أرفض هذه الشريعة، وأحارب هذا العرف. والذين وضعوا هذه النواميس كانوا رجالاً لا نساءً لذلك جاء الناموس ضد النساء وليس الله بفاعل شيئاً من هذا. إن الله يقول: أكرم أباك وأمك فتنال السعادة طول عمرك. واحدٌ هو خالق المرأة والرجل وكلاهما من جسد واحد وصورة واحدة. وناموس واحد يجري عليهما: موت واحد وقيامة واحدة وواجب البنين واحد نحو الأب والأم.

كيف تطلب من المرأة أن تكون حكيمة، وأنت لا تقابلها بمثل ما تطلبه منها؟ كيف تسنّ شرائع مختلفة لجسد متساوٍ مع الآخر وله ذات القيمة؟ أخطأت حواء وأخطأ آدم. لم يظهر أن الواحد كان أقوى من الآخر أو أضعف من الآخر. إن المسيح وضع كليهما بطريق الخلاص. صار انساناً من أجلهما معاً. صار للرجل كما صار للمرأة.

جاء من نسل داود. أتعتقد أنه لأجل هذا يُكرّم الرجل؟ بل قل انه ولد من البتول مَن هو فوق النساء. يصيران كلاهما جسداً واحداً. وهنا الجسد له الكرامة الواحدة. ان بولس الرسول يشرع بمثاله: «أنا أقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة» جميل أن تحترم المرأة المسيح عن طريق الرجل، وجميل ألاّ يهين الرجل الكنيسة عن طريق المرأة. على المرأة ان تحترم رجلها لأنه عليها أن تحترم المسيح. ويجب على الرجل أن يحب امرأته كما أحب المسيح الكنيسة. وعلينا أن نبحث الآية بعمق أكثر.

خضّ اللبن تحصلْ على السمن. ابحث، فقد تجد شيئاً شافياً كافياً، يظهر لي أن المقصود هنا منع تعدد الزوجات. لأنه ان يكن هناك مسيحان فليكن هناك رجلان وامرأتان. واذا كان هناك مسيح واحد، رأسٌ واحد للكنيسة، فليكن هنا جسد واحد. ألناموس يبيح الطلاق لأي سبب. اما المسيح فلا يجيزه لكل سبب. يسمح بطلاق امرأة زنت. أما الأسباب الأخرى فيطلب أن نبحثها بتمحيص وتدقيق. المسيح يسمح بطلاق الزانية لأنها تفسد العائلة. أما الأمور الأخرى فتقع تحت سلطان العقل والحكمة. اذا رأيتها تتبرج، فردّها الى الطبيعة والبساطة. واذا سمعتها تتكلم بدون تعقل فأرشدها. واذا رأيتها تضحك ضحكة لا خجل فيها، فاجعلها تخجل من ضحكتها. واذا لاحظت أنها تبذّر في الصرف، او تشرب الخمرة فأعدْها الى صوابها. واذا ذهبتْ الى مكان لا يليق، فأعدها بمحبة ونصح لأنها قد تجهل المخاطر التي تتعرض لها. واذا التفتت الى هنا وهناك فاردعْها. لا تعاملْها بقسوة، او تنفصل عنها لأن ما ينتظرها مجهول بالنسبة لك ولها. «إن نبع الماء لك ولا يشرب منه احد غيرك» و«عصفورك الجميل وغزالك المحبوب فليتبعاك في مسيرة حياتك» اذا شردت زوجتك فأنت تدفعها للشرود.

ماذا يقول الفريسيون: هذا الكلام قاس بالنسبة لهم، حتى الكلام الجيد لم يكن يعجبهم آنذاك كما لا يعجب الفريسيين اليوم أن الانتساب لا يحدد هوية الفريسي، بل الذي يحدد هذا الانتساب الى فئة معينة، انما هو المسلك. هكذا أصنف الأشوري والمصري. ومن يقف الى جانب الفريسيين بتفكيره هو فريسي. ماذا يحدث مع الفريسيين؟

اذا كانت الأمور هكذا فيما يتعلق بطلاق المرأة، فالأفضل أن لا يتزوج الانسان. الآن تعرف ايها الفريسي أن الأفضل ان لا يتزوج المرء؟ سابقاً لم تكن تعرف ذلك؟ ما عرفت ذلك عندما كنت ترى الأرامل والأولاد الأيتام، والميتات الفجائية، والأحزان التي تلي الأفراح كأنها تتابُع أحلام، وتبني الأولاد الفقراء والأطفال المولودين أمواتاً، وموت الأمهات أثناء الولادة، وكل المهزلة، وكل المأساة التي ترافق هذه الأمور. لم تكن تعرف هذا أن عدم الزواج أفضل.

أما المسيح فيحلل الزواج «لأن الزواج مكرم ومضجعه بغير دنس». إنه شريعة العقلاء، لا شريعة ذوي الأهواء الذين يجعلون همهم في شهوات الجسد. عندما يكون الزواج وحدة زوجين، ورغبةً في انجاب البنين لخلافة الجنس البشري، فالزواج صالح، لأنه يكثر الأجيال السالكة بحسب وصايا الرب. أمّا اذا اتُخذ الزواج مثاراً لشهوات الجسد ورغباته، واذا كان الزواج دربأً مفروشة بالأشواك، أشواك الخلافات، وطريقاً الى الشر والفساد، فمن غير الموافق، في رأيي أن يتزوج الانسان.

حسنٌ هو الزواج، لكني لا أستطيع أن أقول إنه أفضل من البتولية، لأن البتولية لن تكون حسنة اذا لم تكن أحسن مما هو حَسَن. لا ينزعج أحدٌ منها أيها المتزوجون. علينا أن نصغي ونسمح للرب ولا للبشر. مع ذلك، فلترتبط الواحدة مع الأخرى، البتول والمتزوجة، ولتكونا واحداً أمام الرب، ولتفاخر الواحدة الأخرى. لولا الزواج لم يوجد رجال ولا نسلٌ بشري. والبتول (الراهبة) أيضاً تأتي من الزواج. أكرم أمك وكل امرأة لأنها عروس المسيح. الجمال الخارجي لا يختفي، أما الجمال الداخلي، فالله يراه «كل مجد ابنة الملك داخلي وتزيّن بزينة الذهب» اي بالأعمال والاهتمامات النظرية. المتزوجة أيضاً، فلْتلتصقْ بالمسيح على نسبة ما. أما البتول فكل حياتها للرب. لا ترتبط الأولى بالعالم كلياً، أما الثانية فلا تتبطْ مطلقاً بالعالم. لأن ما هو جزئي للمتزوجة هو كلي للبتول. فاذا وقعتَ على الحياة الملائكية، واخترت البتولية، فلا تنحدرْ الى عالم الجسد. لا تسقطْ في المادة، ولا تتحدْ بها حتى لو بقيت بغير زواج. العين التي تزني لا تحافظ على العفة، واللسان الزاني يتحد بالشيطان. الأقدام التي تسلك بغير نظام تسوق الى المرض والى المخاطر. فلْيبقَ عقلنا بتولاً. لا تحلم ولا تتخيل ولا تختزن في داخلك صور زناة لأن الصورة تشكل قسماً من الزنى. لا تنصبْ في داخلك تمثالاً للأشياء البغيضة.

لقد قال يسوع للجموع «انكم لا تستطيعون هذا كلكم إلا من أعطي لهم» أرأيت سمو هذا؟ شيء قليل ينقص حتى يظهر كاملاً غير منظور. كيف لا يكون ملائكياً من

ليس يحيا بالجسد، وهو في الجسد؟ الجسد يرتبط بالعالم، أما الفكر فيرفع الى الله. الجسد أعطي ثقلاً. أما الفكر فأعطي أجنحة. الجسد أسرٌ، أما الفكر فهو حر.

فاتجهي باندفاع نحو الله بكل روحك أيتها البتول. وكذلك أوصى الرجال والنساء، ولا تعتبري خيراً ما يعتبره الآخرون. فلا الغنى، ولا الحب، ولا العرش الملوكي، ولا السلطة، ولا الجمال الظاهر، كل هذه تتغير وهي ألعوبةٌ بيد الزمن والمرض. اذا كانت كل محبتك قد أفرغت في الله، واذا لم يصبح ارتباطك بما هو فاسد، وبما هو مجهول محلولاً، فهذا يعني أنك جُرِحتِ عميقاً بالسهم المختار، وعرفت جمال الختن. بحيث تستطيع أن تختزن الرؤية الخَتَنية، وأن تنشد الرب حلواً وجديراً بالمحبة.

أترين المياه الجارية في الأنابيب الرصاصية. انه بسبب الضغط الذي يقع عليها من كل جهة، وبما انها تسير نحو وجهة معينة، كثيراً ما تتجاوز طبيعة المياه فتندفع الى فوق بضغط المياه الخلفية. هكذا اذا دفعك الشوق، والتصقت كلياً بالله ستتقدمين الى الأعالي. ولن تسقطي الى تحت ولن تغرقي، بل ستبقين كلياً في المسيح حتى تَريْ المسيح ذاته ختنَكِ. صوني ذاتك بعيدة عن ذميم القول والعمل وعَبَث الحياة والفكر والحركات. ان الشيطان يراقبك كيفما اتجهتِ ليكتشف مكان الضعف فيكِ ليضربكِ ويصرعكِ. كلّما كنت نقية، كلما ازداد جهداً في أن يوسخك. لأن الثوب الابيض النقي تظهر عليه بسهولة بقع التوسيخ. لا تجذِبَنَّ عينُكِ أعيناً أخرى، ولا يضحكْكِ ضحك الآخرين. لأن من تجرفه الأهواء وتختلسه شيئاً فشيئاً، لا يشعر بذلك في الوقت الحاضر، الا أنه يكتب في قائمة الأسرار لكشف نتائج المستقبل.

عندما تسمع قول الانجيل: «إلا للذين أعطي لهم» لا تتشبه بالهراطقة وتأخذْ بالكلام عن الطبائع الروحية والترابية والمتوسطة بينهما او المنزلة بين المنزلتين. فهناك من يفكر تفكيراً شاذاً وشريراً، ويضع الناس في ميزان الأقدار العمياء من غير ان يميز اختلاف المواهب والامكانات عند كل الناس والفروق بينهم. ولذلك عندما تسمع قوله: «إلاّ للذين أعطي لهم» يجب ان نضيف أنه يعطى لمن جاءتهم الدعوة وتجاوبوا مع الدعوة. وعندما تسمع القول: «لا تتوقف الأمور على من يريد ويسعى، بل على الله الذي يهب الرحمة» عساك أن تفهم الشيء ذاته. انت تريد وتسعى، والله الخالق الوهاب والمعطي الصالحات، هو يهدي ويوفّق.

«إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً يتعب البناؤون» و«ان لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً تسهر الحراس». أنا أعرف أن السبق كله ليس لمن يعدو سريعاً، ولا الظفر كله للأقوياء،

ولا النجاة وبلوغ الميناء للذين يعرفون السباحة جيداً. بل كل شيء يتعلق بالله، وهو الذي يهب الظفر والذي يوصل القارب الى الميناء. فأرجع، يا هذا، كل شيء الى الله مهما تكافحْ وتجاهدْ فانك بحاجة اليه تعالى.

لقد طلبتْ أم ابني زبدى أن يجلس أحد ابنيها عن اليمين، وأحدهما عن اليسار في مجد يسوع. كانت مدفوعة بمحبتها لابنيها، ولا شيء يعادل محبة الأم لأولادها (أقول ذلك لأوصيكم بالوفاء لأمهاتكم) أجل، طلبت ذلك جاهلةً خطر الطلب. ماذا كان جواب المخلص؟ لقد سأل أولاً اذا كانا يستطيعان أن يشربا الكأس التي يشربها هو؟ وقبل جوابهما الايجابي (لأنه عَرَف بسابق علمه انهما يموتان مثله موت الشهادة) وماذا قال: «أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها، واما جلوسكما عن يميني وعن يساري، فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي». ما هذه النتيجة؟ ما قيمة العمل اذن؟ ما قيمة الوعظ والتعليم؟ ما قيمة الجهاد في الأصوام والأسهار والتقشف والدموع؟ ما قيمة هذه الأمور اذا كان الخلاص بسابق الاختيار؟ على هذا اخشى ان يتبادر الى اذهانكم فكرٌ غير معقول ولا أساس له، وهي النظرية القائلة بسابق الوجود والحلول في الأجساد، وتناسخ هذه الأرواح بانتقالها من جسد الى جسد. والحكم عليها بالنسبة الى سالف حياتها الماضية.

اما الذي يأتي من الارادة الحرة فهو شيء محمود. أي فضل للنار اذا اشتعلت؟ لا فضل لها لأنها تحمل الحريق بطبيعتها. واي فضل للماء اذا جرى الى اسفل؟ لا فضل له لأن خاصته الطبيعية هي هذه. أي فضل للثلج اذا كان بارداً، أو للشمس اذا أدفأت وأنارت؟ انها بالطبيعة كذلك. ما هي حالة الأفضل، او الحالة الفضلى؟ انها الحالة التي فيها تجاهد ضد أهواء الجسد الطبيعية، وتتجنّح عقلياً، وتصير سماوياً وفوق الجسد. تلك هي الحالة الفضلى.

اني أطلب من الخصيان المولودين بالطبيعة خصياناً، وبالطبيعة لا يستطيعون الزنا، اطلب منهم شيئاً آخر: لا تزنوا مع الالوهة ولا تهينوا المسيح الذي تزوجتم به. ولا تعتبروا الروح القدس مساوياً لكم وخلقة لأنكم صرتم به كاملين. يقول بولس الرسول: إني اذا أردت أن أرضي البشر فلست عبداً للمسيح، واذا عبدت المخلوقات، فلن أسمى مسيحياً. وما قيمة الاسم المسيحي؟ أليس هو لأن المسيح اله؟ اني أكرم بطرس مثلاً، ولكن لا أسّمى بطرسياً، وكذلك أكرم بولس ولا أسمى بولسياً. أنا لا أرضى أن اتخذ اسماء بشرية ما دام ان الله خلقني. وهكذا أنت تسمى مسيحياً لأنك تعتبر المسيح الهاً.

فيجدر بك، والحالة هذه، ان تسمى مسيحياً وتحافظ على الاسم وعلى الالتزام. أما اذا اتخذت الاسم المسيحي لأنك تحب المسيح، فان التسمية لا تختلف عن التسميات المترتبة على مهنة ما وما الى ذلك.

انظروا الى الذين يترددون الى ساحات سباق الخيل، الذين يتخذون اسماء لهم من الألوان والفرق التي تروقهم. وانتم تعرفون هذه الاسماء ولا حاجة الى ذكرها. فاذا سُميّت يا هذا مسيحياً على هذا النحو، فهذه التسمية تافهة مهما فاخرت بها. اما اذا سميت مسيحياً على اساس ايمانك بالمسيح أنه إله، فعليك ان تبرهن عملياً ما تؤمن به. فاذا كان الابن خليقة فأنت عابد أيضاً خليقة بدلاً من الخالق. واذا كان الروح القدس خليقة أيضاً، فباطلاً هو ايمانك وعمادك. ان الثالوث الأقدس هو جوهرة متساوية من كل جوانبها، وتلمع أيضاً من كل الجوانب. فاذا أصيب قسم من هذه الجوهرة فان روعة الحجر الثمين تختفي. وهكذا فعندما تنزع الكرامة عن الابن لتكرم الآب، فان الآب لا يقبل تكريمك، والآب لا يمجد بخفض كرامة الابن. اذا كان «الابن الحكيم يكرم اباه، أفليست بالأحرى كرامة الابن من كرامة الآب؟ اذا اقتنعت بهذا فلا تمجد الآب بالإقلال من تكريم الابن، ولا تكرم الابن بالإقلال من تكريم الآب. واذا قللت من تكريم الروح القدس، فان الابن لا يقبل تكريمك له. فاما ان تكرم الثالوث كله، واما ان تقلل من قيمة الثالوث كله حتى تكون متديناً مؤمناً صحيحاً عاقلاً مخلصاً مع نفسك وعقيدتك.

أنا لا اريدك ان تكون نصف مؤمن، بل انما أريدك مؤمناً كاملاً. عفوكم أيها المؤمنون على اندفاعي وحميتي وحماسي: إنما أتألم من أجل الذين يحرفون الايمان.

الخطيئة المتعلقة بالجسد لا تسمى وحدها زنا ودعارة بل كل خطيئة، مهما تكن، وعلى الأخص مخالفة الشريعة الالهية. كيف تبرهن ذلك؟ ربما تحاول ان تعرف هذا الأمر. يقول كتاب المزامير: «لقد زنوا بأعمالهم» (مز ١٥:٣٩). أرأيت عملاً زنائياً مخزياً؟ كهذا؟ و«زنوا عند كل أكمة، وتحت كل شجرة» (مز ٣:٦) أرأيت دعارة كهذه؟ لا تزنِ تقول الوصية. ولكن اذا زنيت بروحك، وانت عفيف بالجسد فذاك زنا افظع. أين حسن ايمانكم؟ لماذا تتجهون كلكم الى الأقبح. من اجل زنا الجسد جانبوا مخادع النساء فتسلموا. اما زنا الروح فيجر الى الاثنين كليهما زنا الروح وزنا الجسد.

والآن أتريدون أن أتابع كلامي، أم أنكم عييتم من السماع؟ لنتابع الكلام قليلاً عن معنى الخصيان، وما هم اهلٌ، من أجله الى المديح والثناء فلا يضير ظاهر التسمية حقيقة

المعنى المقصود. «هناك خصيان ولدوا خصياناً وخصيان خصاهم الناس، وخصيان خصوا أنفسهم». نعم «خصيان خصوا أنفسهم» من يستطيع سلوك هذا السبيل فليتقدم ويسلك. ففي هذا السبيل الوصول الى أمور سامية في المجال الروحي. أما اذا عنى الكلام خصيان الجسد فقط، فذاك معنى تافه جداً، وغير جدير بالتحدث عنه، فيما نحن نتلمس معنىً روحياً. قد يكون هناك من الناس من يميلون بطبيعتهم الى الخير والفضيلة والعفة. وعندما أقول الميل بالطبيعة لا أقلل من قيمة الاختيار والإرادة الأمر الذي يحول الميل الطبيعي الى عمل. هناك أيضاً من ينقيهم العقل بعد ان يتحرروا من الأهواء بالصبر على العالم وعشرة الناس. هؤلاء، كما أرى، هم الذين خصاهم العالم مثل المعلم المربي الذي يفصل الخير عن الشر خالقاً منهج الحكمة الروحية. المعلمون بتروا الشر والتلاميذ قبلوا هذا البتر.

يجب ان نقطع الأهواء من أنفسنا (لئلا ينبت جذر، ويسمو ويضر» عب ١٢:١٥). ولنتبع الصورة، ولنحترم الرسم المرسوم والخطة المنتهجة. انتزع الأهواء الجسدية والنفسية، لأنه بقدر ما هي النفس أثمن من الجسد، بقدر ذلك تحتاج النفس الى التنقية أكثر من الجسد. فاذا كانت نظافة الجسد شيئاً خليقاً بالمدح والثناء، فلنقدر كم هي أعظم وأسمى نظافة النفس!

هذا ما أنصح به العلمانيين، وما أوصى به الشيوخ وأصحاب السلطة والتوجيه والتربية. ساعدوا كلمة الانجيل على الفعل والانتشار أنتم الذين أخذتم من الله امكانية المساعدة، انه أمر هام أن تمنعوا القتل، وتعاقبوا على الزنا، وتردعوا السارق، ولكن الأهم ان تفرضوا الايمان والدين والتقوى وان تقولوا الكلمة الصحيحة. لن يكون لكلامي القوة اذا طبقت القانون، بل اذا انا جعلت القانون سائداً على النفوس باقتناعها واختيارها.

يبقى علينا شيء واحد لنعلمه: هو الصلاة من أجل الحاضرين. أيا الرجال والنساء معاً، الأسياد والمسودون والشيوخ والشباب مع الاحداث والعذارى. أيها الناس من كل الأعمار اصمدوا في وجه الشر واصبروا وصابروا وثابروا على الفضيلة والصلاة، ولنقدم الاكرام والسجود، انا قبل الجميع وآخر الجميع لربنا الآن والى دهر الداهرين آمين.